المنافسة بين اللهجات واللغات

1 – المنافسة بين اللهجات :

يحتاج الناس إلى اتصال بعضهم ببعض ، أفرادا ، وجماعات ، وأمما . ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ، ويستفيد بعضها من بعض .

والتأثر الذي يعتري لهجات اللغة الواحدة ، قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا ، كلهجات القرى والمدن ، في أية دولة ، فلكل منها سمات تمتاز بها عن الأخرى، وبينها اشتراك في مظاهر كثيرة، تستمدها من اللغة العامة، ولذا لا تستعصي احداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم إلا في حالات العزلة التي تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التي تفصلها عن بعضها عن بعض ظروف جغرافية واجتماعية ، فإنها تؤدي إلى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصي على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة .

وحين تتجاور اللهجات الخاصة في المدن الكبرى ، والقرى المجاورة لها ، تزيد درجات التأثر ، ففي داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ، ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة .

وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلي عن خصائص لهجاتهم وتقليد لهجات المدينة ، لأن حضارة أهل المدن ، وثقافتهم تجعل الرغبة في تقليدهم ملحة لدى الريفيين .

وقد أجريت بحوث في هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهي تعود – في بعضها – إلى الثقافة والحضارة ، والنفوذ والسلطان ، وعدد الناطقين ونحو ذلك .

فإذا انفردت احداها بمزية ، بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسي أو تجاري أو ديني واسع أو كثر عدد الناطقين بها فإن ذلك يدعو إلى تغلبها على اختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى .

وقد حدث هذا كثيرا في التاريخ اللغوي .

فاللاتينية التي صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة العالم الغربي بأسره، كانت لغة روما أولا وقبل كل شيء أي لغة المدينة في مقابلة لغة الريف المجاور ، واللهجات القاصية على السواء[1] .

واللهجة الباريسية ، أصبحت لغة فرنسا ، بتغلبها على اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ، ومن طبقة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة ، وهي البرجوازية .. وقد استقرت في القرن التاسع عشر، وسلم بها القصر ، ثم الأقاليم ، والكتاب الكبار باستعمالهم إياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائيا ، وعلى استمرارها لذلك لا تكاد تحس فيها أثرا للهجات)[2] .

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتية ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة إذ كانت أقرب من غيرها إلى اللاتينية[3] .

ولهجة فلورنسا (في ايطاليا) – لهجة المجتمع الراقي بهذه المدينة – هي التي صارت لغة ايطاليا[4] .

(1) فندريس : اللغة ص 329 .
(2) نفسه ص 330 .
(3) نفسه ص 335 .
(4) نفسه ص 325 .

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجات الجزيرة العربية ، قبل الإسلام لتحقق النفوذ السياسي ، والاقتصادي ، والديني لها .

ويمكن أن تنشأ على اثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة ، وما بقي من خصائص اللهجات الأخرى المندحرة .

وهذا التوحد اللغوي يخضع لعوامل كثيرة أهمها :

1) العامل السياسي :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسي واحد ، يؤدي إلى تقارب لهجاتها ، ثم توحدها في لغة عامة ، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة في مختلف المناطق من المظاهر الصوتية ، والصوفية ، والمعجمية ، وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة ، أو طائفة حرفية ، حتى ولو كان الحاكم من أبنائها ، ليكون ما يوجه إلى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية .

وتلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطني المناطق الأخرى ، فيحاولون تقليد لهجتها ، والتخلي عن ما تنفرد به لهجاتهم الأصلية .

ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية إلى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية .

ويمكن أن تمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية ، التي كانت لهجة باريس ، ثم انتشرت في جميع البلاد الداخلة في المجال السياسي الفرنسي ، واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم الغربي بأسره[5] تبعا للنظام السياسي ، وذلك في الامبراطورية الرومانية القديمة[6] .

وعدم خضوع الدولة لنظام سياسي واحد يضع الصعوبات في طريق التوحد اللغوي (فألمانيا التي ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة)[7] .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية في عامية متعلمي الألمان ، حتى في أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوربية[6] (ولذا قام انتشار اللغة الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وخذة سياسية ، فالألمانية المشتركة أولا وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بنجاحها إلى أسباب دينية ، كما تدين بأصلها إلى الرغبة في الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوثر ، وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات في المدن والامارات الألمانية ، والالمانية كانت تحتل الأراضي السلافية قدما بقدم ، وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الألمانية المشتركة ، في مدن الاستعمار في ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التي وصلت بفضل الاصلاح الديني إلى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة ، وصارت لغة الكتابة في ألمانيا المثقفة بأسرها[7] .

2 – العامل الاجتماعي والاقتصادي :

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب ، والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة ، وتبادل المنافع في شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات وهذا يؤدي إلى اختلاطهم ، وقوة الاتصال بينهم ، ولذلك أثره في التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتخلص من السمات التي تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التي توضح اثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحد – في لغة عامة – قبل الاسلام بحوالي قرن ونصف أو قرنين من الزمان لما كان بين أهلها العرب من ارتباط في النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة ، والجوار ، والتعامل التجاري وغيره من الصلات الاجتماعية .

(5) نفسه ص 329 .
(6) د. السعران : اللغة والمجتمع ص 174 .
(7) فندريس : اللغة ص 333 ، 334 .

3 – العامل الأدبي :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوي ، فالأدباء من قصّاص ، وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب – بمختلف طبقاته ليروج ويذيع ، وتلك اللغة التي يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية ، لأي إقليم من أقاليم الدولة ، وهذا يهيء سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة .

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر الذي غصت به الأسواق الأدبية ، كعكاظ ، والمربد ، وذي المجاز ، وكم جرَى التنافس والمبارزة بين الشعراء ، في هذه الأسواق ، ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك ، وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا ، قامت على أساس اللهجة القرشية ، وما استفادته من غيرها من محاسن اللهجات الأخرى .

وفي أوربا (توجد لهجات مشتركة من أصل أدبي محض ، مثل الايطالية ، التي استقرت لغة مشتركة ، ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام ، وتأثيرهم مثل : دانتي وبترارك وبوكاشيو ، وذلك في وقت لم يكن لايطاليا فيه أية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب ، استعملوا اللغة التي كانت تتكلم حولهم ... واللغة التي رفعها دانتي إلى مرتبة اللغة الأدبية ، والتي صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شيء لغة مدينة هي فلورنسا ولغة المجتمع الراقي في هذه المدينة)[8] .

4 – وسائل الاعـلام :

لوسائل الاعلام كالاذاعة والتليفزيون ، ودور الخيالة (السينما) والمسارح ، والصحافة وغيرها أثرها في التوحد اللغوي ، فهي لسان حال الأمة ، والمعبر عن أغراضها السياسية والإجتماعية ، وهي تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ، في الأقطار العربية – مثلا – تستخدم الفصحَى ، وبعض الأساليب العامية التي يفهمها الجميع .

وتلك الوسائل – بلا شك – لها خطرها في التأثير على الناس ، وتكوين لغة عامة .

5 – المـدن الكبـرَى :

للمدن الكبرَى أثرها في نشوء لغة مشتركة ، إذ تتطلع إليها أنظار سكان الأماكن المجاورة لها ، والبعيدة عنها ، فيكثر القادمون إليها من كل صوب ، وهم – حين يلتقون داخل تلك المدن – يحاولون – عادة – التخلي عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون إلى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهذه المدن أدركنا إلى أي حد يمكن أن تبرز لغة عامة يستعملها الجميع .

فالدور الأساسي الذي آل إلى أثينا بعد سقوط الامبراطورية الفارسية أدَّى إلى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الاتيكية ، ولكن زاد من قوة الاتيكية ، واشعاعها ، شهرة شعرائها وفنانيها ، فكان لأثينا – بوصفها مركزا سياسيا وأدبيا وفنيا على السواء – ، شرف تأسيس اللغة المشتركة التي ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد ، حتَّى القرن التاسع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع الاغريقيين[9] .

ولقد تكونت الانجليزية المشتركة في مدينة لندن التي ساعد موقعها على أن تكون ملتقىً لمختلف اللهجات (إذ أن تكون اللغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجئ، حيث أخذت تتلقى بين أحضانها طوائف المهاجرين، على اختلافهم ، يفدون عليها من كل الأقاليم ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت إلى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات ، حتَّى لنجد نطق الانجليزية في القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولاتزال بقايا منه موجودة حتَّى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الاقليمية

(8) نفسه ص 335 .
(9) نفسه ص 328 ، 329 .

انعشت تبادل السكان بين العاصمة ، والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذي أدّى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة ، وإذا فانجلترا تدين أيضا بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا إلى أهمية عاصمتها)[10] .

وفي مدينة القاهرة ، تتزاحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ، ولذا تميل إلى التوحد فيما يشبه أن يكون لغة عامة يفهمها الجميع .

6 – الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ، ويتعبدون به ، ويطبقون أحكامه ، ويدعوهم إلى الاجتماعات العامة في الصلوات ، والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير في التوحد اللغوي .

ولاشك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية ، تؤدي دورها في اتخاذ لغة عامة .

فدور العلم والثقافة ، وطلابها الذين يفدون من مختلف الأقاليم ويلتقون في المدارس والجامعات ، وقصور الثقافة ، والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية ، كل ذلك له أثره في تخلي هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجات ، ويتجهون بذلك إلى لغة عامة .

وقد حاول تيمورلنك أن يصنع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ومع فشل تلك المحاولة فانها تدل على احتياج الجيوش إلى نظام لغوي مفهوم لدَى أوساطها المتباينة[11] .

وفي إطار هذه الأسباب الداعية إلى توحد النظام اللغوي ، فإن العالم العربي قد توفرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسية وأدبية وثقافية ، وربطت بين أرجائه ، الاذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، وسبل المواصلات ، فبرزت لغة مشتركة تتمثل في العربية الفصحَى التي تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدارجة المنتشرة فيه .

ولا تنسَى أن نشير إلى أن اللغة المشتركة التي تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها ، لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل تبدو آثارها فيها ، وتنعكس عليها .

ويتجلى هذا الأثر واضحا ، في العربية الفصحَى المعاصرة ، واللهجات العامية المتفرعة عنها .

وقد أشرنا من قبل إلى ما تحويه اللغات المشتركة في ألمانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التي شاركت فيها .

2 – المنافسة بين اللغات :

يتحقق ذلك في السلم ، والحرب .

في السلـم :

تتوطد العلاقات بين الشعوب ، للحاجات الاجتماعية المتعددة ، في نواحي الاقتصاد ، والثقافة ، والعلوم ، وغيرها من المجالات . فيجري بينها التعاون الزراعي ، والصناعي ، والعلمي ، ونقل المخترعات ، والمستحدثات .

وهذا التعاون المتعدد النواحي ، يقتضي لقاءات متعددة بين أفراد ، وجماعات من تلك الشعوب ، وهذا يؤدي إلى احتكاك لقائهم ، وتبادلها التأثر والتأثير .

فقد استفادت العربية من الفارسية بعض المفردات والأساليب ، المتعلقة بمظاهر الحضارة ، والأشياء التي لم تكن موجودة عند العرب ، ومن اليونانية بعض مصطلحات الفلسفة والعلوم .

كما أخذت الفارسية من العربية بعض المصطلحات العلمية والدينية ، وقد استمدت الاسبانية من العربية كثيرا من المفردات ، بسبب اقامة العرب هناك بعد الفتح الإسلامي ، للأندلس أحقابا طويلة[12] .

---

(10) نفسه ص 331 ، 332 .

(11) د. نجا : اللهجات العربية ص 24 – 26 وانظر د. السعران : اللغة والمجتمع ص 172 ، 175 .

(12) انظر اللغة والمجتمع د. السعران ص 177 .

وكلمة الشاي قد انتقلت إلى معظم لغات العالم من لغة جزر (ماليزيا) التي كانت المصدر الأول لهذه المادة ، وكذلك كلمة (الطباق) انتقلت إلى معظم لغات العالم من لغة السكان الأصليين لامريكا[13] .

وفي اللغات الأوربية كلمات مشتركة أصلها ايطالي أو ألماني أو انجليزي منها أسماء وحدات كهربائية مأخوذة من أسماء مخترعيها مثل : (أمبير) Ampere — (فولت Volt — أوم Ohm)) بل نجد كثيرا من الكلمات الأوربية تنتشر في لغات غير أوربية ، كأسماء بعض المخترعات ، والآلات مثل : راديو — تلغراف — تليفون — تليفزيون — سينما — فيلم — بيانو ... الخ[14] .

وقد تأخذ العلاقات الودية صورا أخرى تدخل فيها اللغات في صراع عنيف ، ويتم ذلك بطرق أهمها :

1) أن تنتقل طوائف من العلماء ، أو الصناع ، أو المثقفين ليشاركوا في نهضة الحياة ، لدى شعب شقيق أو صديق .

2) أن تهاجر جماعات من شعب زاد نموه السكاني ، إلى شعب آخر مجاور .

وفي هاتين الحالتين يكون التأثر والتأثير عاديا ، كما ذكرنا من قبل .

وقد يأخذ هذا الاتصال طابع السيطرة ، والنفوذ ، إذا كان المنتقلون أقوى سلطانا ، أو حضارة ، ممن نزحوا إليهم ، أو زاد عددهم بدرجة كبيرة تجعل وجودهم يزداد قوة ، وثباتا وتأثيرا فتطغى لغتهم ، وربما تتغلب على اللغة التي تنافسها (فالألمانية امتدت على رقعة واسعة مما يجاورها من المناطق في أوربا الوسطى : «سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا الخ» وقضت على لهجاتها الأولى)[15] .

والفرنسية تغلبت على لهجات المناطق المجاورة لها في بلجيكا وسويسرا وهكذا فالمنطقة التي توجد فيها العاصمة تتغلب على البلاد المجاورة لها ، فلوقوع عاصمة بلجيكا (بروكسل) في القسم الذي يتحدث الفرنسية في مقاطعة (والونيا) ولتميز تلك المقاطعة بالنفوذ والسلطان تغلبت اللغة الفرنسية على القلامندية (لغة القسم الشمالي من بلجيكا)[16] .

والفرنسية في مقاطعة بريتانيا تغلبت على اللغة البريتانية شيئا فشيئا ، إذ شاركت في كل نواحي الحياة ، الدينية ، والخدمة العسكرية ، والتعليم ، في المدارس ، والنواحي الاقتصادية ، ولا يمكن للبريتانية أن تساوي الفرنسية في القوة ، والثقافة ، والحضارة ، ولذا يمكن التنبؤ باندثار البريتانية ولكن ذلك يتوقف على تمسك البريتانيين بلغتهم ، وتعصبهم لها ، وعلى كثرة عدد المتكلمين بها[17] .

أما إذا كان الأمر بالعكس ، بأن تفوق الشعب المنتقل إليه نفوذ أو سلطانا أدّى ذلك إلى خضوع المهاجرين ، وربما تلاشى لسانهم الأصلي ، في غمار لغة هذا الشعب الجديد (ففي مستعمرة الكاب كان المهاجرون الفرنسيون من البروتستانت في سنة 1688 يكونون ربع سكان المستعمرة ، ولما كانت الهولندية وحدها هي اللغة المسموح بها في الأمور العامة ، والسياسية ، والدينية ، فقد اختفت الفرنسية بعد مضي قرن واحد[18] .

ويذكر (بلومفيلد) أن الأسرات الأوربية التي نزحت إلى أمريكا ، وأقامت بها إقامة دائمة لا تلبث طويلا حتّى

(13) د. وافي : علم اللغة ص 232 ، وما تأخذه لغة عن أخرى يخضع للصقل ، والتهذيب ، حتّى يجري على طريقة اللغات المنقول إليها .
(14) د. السعران : اللغة والمجتمع ص 178 ، 179 .
(15) د. وافي : اللغة والمجتمع ص 110 .
(16) نفسه ص 112 .
(17) فندريس : اللغة ص 352 — 355 بتصرف .
(18) نفسه ص 350 .

تصطنع لغة البيئة الجديدة مشوبة في أول الأمر ببعض أصوات لغتهم الأصلية وأساليبها ، ثم لا يكاد يمر عليهم جيل من الزمن حتّى يسيطر أبناؤهم أو أحفادهم على اللغة الامريكية ، ذلك لأنها تمثل – في نظر معظم المهاجرين – اللغة العليا ولأنها اللغة التي تقضي مصالحهم في البيئة الجديدة ، وتساعدهم على الاندماج وتحسين أحوالهم اجتماعيا ، واقتصاديا)[19] .

وفي الحـرب :

قد يغزو شعب شعبا آخر غزوا عسكريا ، فتدخل لغتاهما في صراع يحتدم بينهما أمدا طويلا ، وهذا واضح في لغات الشعوب التي اشتركت في الحرب العالمية الأولى ، فقد استفاد بعضها من مفردات الأخرى ، نتيجة لطول الاحتكاك ، والاتصال بينها .

ومن الممكن أن تنتصر احداهما إذا تهيأت لها أسباب النصر :

1) فتنتصر لغة الغالبين إذا كانوا كثيري العدد ، أو كانت حضارتهم وثقافتهم أرقى من المغلوبين .

فنزوح الغازي بأعداد كبيرة ، يؤدي إلى القضاء على طابع الشعب المغلوب وسماته ويصحب ذلك سلطان القوة ، التي تفرض لغة الغازي ، في تصريف شئون الدولة ، والادارة ، والعلوم ، والثقافة ، وهذا يؤدي إلى انكماش لغة الشعب الأصلي ، وتدهورها .

وإذا كانت حضارة الشعب الغازي أقوى أدّى ذلك إلى انصراف الشعب المقهور عن لغته ، وهجرها ، بتقليد اللغة الأرقى .

ومن ذلك أن اللغة العربية انتشرت اثر الفتوحات الواسعة في آسيا وافريقية ، وتغلبت على كثير من اللغات الأخرى ، كالقبطية . والبربرية .

ومن ذلك – أيضا – سيادة الانجليزية في أمريكا الشمالية ، وسيادة الفرنسية في أنحاء كندا وفي جزر الجوادلوب والمرتينيك وغيرها وهذه الظاهرة ممكنة الحدوث حتّى إذا كان الغزاة أقل عددا بكثير بشرط أن يكون رقيهم الحضاري والاداري والاقتصادي ساحقا[21] .

ويذكر بلومفيلد أن قلة عدد الغزاة قد يؤدي إلى انتصار لغة المغلوبين عسكريا وسياسيا ، فهؤلاء القلة من الغزاة يهضمون بعد زمن ما في البيئة الجديدة ، غير أنها بعد انتصارها تصبح مثخنة بآثار ذلك الصراع المرير ، فلا تكاد اللغة الغازية تندثر أو تزول حتّى تكون قد تركت في اللغة المغزوة جروحا ، أو ندوبا هي في الحقيقة بعض الصفات التي استعارتها من لغة الغزاة .

ومن ذلك النورمانديون الفرنسيون حين غزوا الجزر البريطانية واستطاعت الانجليزية – في النهاية – أن تقهر الفرنسية وتحل محلها ، بعدما أصاب الفرنسية تشوه في أصواتها ، وتجديد في بعض أساليبها[22] .

وقد تنكمش لغة المغزوين وتنزوي في ناحية من بيئتها وتتحصن فيها فتعيش اللغتان الغازية والمغزوة جنبا إلى جنب كما حدث للغة الكلتية بعد غزو الانجليز السكسون للجزر البريطانية ، فقد حلت الانجليزية محل الكلتية في بقاع كثيرة من تلك الجزر ولكن الكلتية ظلت حتّى الآن سائدة في بعض جهات (ويلز)[23] .

وقد يتمسك المغلوب بلغته ، ويقف في وجه الغالب سدا منيعا لا يتزحزح عنها ، فلا تتمكن لغة الغالب من السيطرة عليها .

فاتجاه الايرلنديين إلى إحياء لغتهم الوطنية يعود – كما يقول فندريس – إلى بواعث سياسية ، وهي التخلص من لغة الانجليز أعدائهم التقليديين»[24] .

(19) د. أنيس : من أسرار اللغة ط 3 ص 100 ، 101 .
(20) د. حسن ظاظا : اللسان والانسان ص 128 .
(22) د. أنيس : من أسرار اللغة ص 99 ، 100 .
(23) نفسه ص 100 .
(24) فندريس : اللغة ص 350 .

ومثل ذلك ما حدث من تمسك الفرس بلغتهم ، إذ كان الفتح العربي قد أدخل اللغة العربية إلى بلاد فارس ، حتّى أصبح العلم والأدب والسياسة جميعا لا تعرف تعبيرا غير العربية ، وتقلص ظل الفارسية ، فأصبحت رطانة للطبقة الدنيا من الفلاحين ، والرعاة ، وصغار التجار والصناع ، ولكن العصبية الشعوبية استيقظت منذ القرن الثالث الهجري ، وبدأت مع الدويلات الإسلامية الشعوبية التي قامت في فارس حركة احياء وبعث للغة الفارسية)[25] .

2) أما إذا حدث العكس بأن كان المغزوون أكثر حضارة ، فإن لغتهم تبقى صاحبة السلطان ، وربما قهرت لغة الغزاة ، وصرعتها على ألسنة أهلها .

(فإرادة الاغريق في ألا يضحوا بلغتهم أمام فاتح يحتقرونه هي التي حفظت الاغريقية خلال العصور ، فلم تستطع التركية يوما أن تحل محلها ، أو حتّى أن تنال منها ،... فالتركية وهي لغة الفاتحين ليست بأية حال من لغات الحضارة ، وما كانت تستطيع الكفاح ضد اللغة الاغريقية ، التي تمثل ثقافة من أعرق الثقافات)[26] .

وكما حدث عندما هاجمت القبائل المتبربرة أوربا اللاتينية ، التي كانت شعوبها أكثر تقدما في الحضارة ، ولذا ترك هؤلاء البرابرة لغاتهم الأصلية ، بل تركوا أديانهم الوثنية واصطنعوا اللاتينية واعتنقوا المسيحية الكاثوليكية ؛ وكذلك التتار بعد اسقاطهم بغداد اعتنق أكثرهم الاسلام وتعلموا اللغة العربية[27] .

وتظهر آثار المنافسة بين اللغتين المتجاورتين ، أو المتصارعتين – عادة – في المفردات[28] وقد يحدث تأثير في النظام الصوتي والصرفي ، ونحن نعرف أنه كثيرا ما لوحظ في لغات مختلفة أصلا ومتجاورة جغرافيا وجود خصائص صوتية مشتركة وكذلك الحال بالنسبة للنظام الصرفي[29] فقد انتشرت بعض النواحي الصرفية من الفنلندنية إلى اللغات الهندية الأوربية الأخرى (السلافية والبلطية)[30] .

وقد ينسخ نظام الجمل ، وبذلك ينتقل ترتيب الكلمات أحيانا من بعض اللغات إلى لغات مجاورة لها ، فالألمانية المساوية – مثلا – تسير على حرية كبيرة في ترتيب الكلمات ، وذلك تحت تأثير اللغات السلافية[31] ، وفقدان النمو نتيجة حتمية لصراع اللغات[32] .

وعندما يقضي على إحدى اللغات فإن ألفاظا كثيرة تعززها من اللغة الغالبة وينالها كثير من التحريف في ألفاظها الأخرى ، ودلالاتها ، ثم لا تلبث القواعد أن تتغير شيئا فشيئا[33] .

وتترك اللغة المغلوبة آثارها على اللغة الغالبة ، وكلما طال أمد الصراع[34] وقوي كانت التشوهات أكثر

---

(25) د. حسن ظاظا : اللسان والانسان ص 128 ، 129 .
(26) فندريس : اللغة ص 351 .
(27) د. حسن ظاظا : اللسان والانسان ص 127 .
(28) فندريس : اللغة ص 353 .
كبعض الكلمات الخاصة بالبيئة الجديدة من أعلام أو أسماء الأمكنة ، ومن ألفاظ تعبر عن أشياء تتميز بها هذه البيئة كما حدث للرومانية حين قضت على معظم لغات أوربا ، وللعربية حين قضت على القبطية في مصر ، وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما سبق ، انظر : د. أنيس : من أسرار اللغة ص 100 وص 50 من هذا البحث .
(29) فندريس : اللغة ص 361 ، 364 .
(30) نفسه 361 ، 364 .
(31) نفسه 359 .
(32) نفسه ص 363 .
(33) د. وافي : اللغة والمجتمع ص 100 وما بعدها .
(34) يحتاج الصراع إلى وقت طويل قد يبلغ أربعة قرون ، فالرومان تغلبوا على وسط أوربا وشرقيها في القرن الأول الميلادي ، ولم تصل=

عمقا ، وظهورا ، فقد ضاع من الانجليزية أكثر من نصف ثروتها اللفظية ، في صراعها الذي انتصرت فيه على النورماندية الغازية ، واستعاضت عن هذا المفقود من اللغة الغازية المقهورة ، وأخذت منها كذلك مفردات جديدة ، ومع طول الصراع بين العربية ، والقبطية ، والبربرية ، لم تؤثر تلك اللغات في العربية تأثيرا قويا ، لأن الصراع لم يكن شديدا ، ولم تكن هناك مقاومة تذكر من اللغات المغلوبة .

ويميل بعض اللغويين إلى القول بأن آثار الاحتكاك ، والصراع بين اللغات تظهر إذا كانت من فصيلة واحدة ، أو من فصيلتين متقاربتين ، أما إذا كانت غير مشتركة في الأصل ، فإن الآثار الناجمة عن الاحتكاك والصراع آثار محدودة ، لاسيما فيما يتعلق بالبنية ، ونادرا ما تؤثر لغة أو تتغلب على أخرى ليست من فصيلتها[35] .

ونتيجة لتجاور اللغات وصراعها ، قد لا تبقى اللغة الواحدة على حالها بل تتغير ، وربما انقسمت إلى لهجات لاتساع الرقعة التي تعيش عليها ، ولاتصالها بلغات أخرى أو انتصارها عليها ، واختلاف البيئات المكانية ، والزمانية ، والثقافات المتعددة ، التي تتغلب عليها من الشعوب المتكلمة بها ، وانتقالهم من جيل إلى جيل ، كما حدث للعربية في نمو المتكلمين بها ، وتغلبهم على المناطق المجاورة في مصر والشام ، والعراق . وكما حدث للألمانية في امتدادها على مساحة واسعة في أوربا الوسطى ، فكل ذلك أدّى إلى تغلب تلك اللغات على لغات البلاد الأصلية ، ونجم عنه تفرق العربية والألمانية إلى لهجات .

ولهذا القانون خضعت اللغات الانسانية منذ نشأتها إلى العصر الحاضر .

تعقيب :

عرضنا في كلامنا السابق صورة واقعية لما يعرض للغة جماعة انسانية ، ورأينا أنها تنشأ تلبية لحاجاتهم الاجتماعية ، ووفقا لظروفهم ، فهي تمثلهم حضاريا وثقافيا وفكريا ، ثم ان ألفاظها المعبرة عن مقصودهم ، تأخذ الطابع المميز لتلك الجماعة الانسانية ، وتتطور حسب احتياجاتهم ، وما يعرض لهم من ظروف جديدة قد تطرأ عليهم ، في انقساماتهم الاجتماعية داخل المنطقة التي يعيشون فيها ، أو نتيجة اتصالهم بالشعوب الأخرى للتجارة أو الهجرة أو الحرب ، أو غيرها من وسائل الاتصال المتعددة ، ويمكن أن تبدو لذلك آثار بعيدة المدى في سلوك اللغة ، واتجاهاتها ، بين الجماعات الانسانية المختلفة وتبدو ملاحظاتنا في صور تعبر عن الجانب الاجتماعي ، وأثره في السلوك اللغوي ، وهي كما يلي :

أولا : اللغة صورة لحياة الأمة :

ليست اللغة أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه ، بل هي صورة له ، نابضة بالحياة ، فإذا كان المجتمع متخلفا ظهرت آثار التخلف في لغته ، فهي متخلفة معه ، وإذا كان مجتمعا راقيا بدا الرقي في لغته كذلك ، فالشعوب البدائية يتكلمون لغة مادية لا تعرف الفكر ، أو المعاني الكلية . انها لا تعرف أكثر من المحسوس ، لتعبر عنه ، فالهندي الأحمر في امريكا لا يستطيع — في تعبير لغوي — أن يجد اسما للشجرة ، دون أن يعرف لونها الأحمر ، أو الأسود ، في شجر معين كالبلوط . وبعض العشائر البدائية لا تسعفها لغتها على التعبير ، فيلجأون إلى الاشارات بأيديهم ، وأرجلهم ، وأعينهم حتّى انهم إذا أرادوا التحدث ليلا أوقدوا النار ، ليرى المخاطب حركاتهم ، فيعرف ما يريدون ، وهذا اللون من اللغات يقل فيه التفرع اللغوي ، كالاشتقاق ، وغيره مما يعبر عن المعاني المجردة .

أما الشعوب الراقية ، ذوات الثقافة والفكر ، فتحمل لغاتها سمات حياتها العامة ، والخاصة ، كاللغات الهندية

■ لغتهم إلى الغلب النهائي إلا حوالي القرن الرابع الميلادي . والعربية لم تتغلب على القبطية والبربرية إلا بعد أحقاب طويلة ، بل انها بقيت مستعملة في أداء الطقوس الدينية . وبعض اللغات البربرية لاتزال تستعمل حتّى العصر الحاضر .

(35) د. وافي : اللغة والمجتمع ص 97 — 110 ، د. السعران : اللغة والمجتمع ص 179 — 181 .

والأوربية ، واللغات السامية ، التي تستطيع أن تعبر في صور متعددة ، وعبارات لا تحتاج إلى الاشارات كتلك السابقة لها ، بل ان اللغة العربية تجنح إلى العقلية والخيال ، والتعبير عن الشيء منظورا إليه من جهات متعددة .

فاللغة سجل يعي حضارة الأمة على مدى تاريخها الطويل ، ويمكن على هذا الأساس فهم طبيعة حياتها ، ومعرفة الكثير عن وجودها الحضاري .

فالعربية — في أول حياتها — كانت تعيش حياة بدوية خالصة في صحراء الجزيرة . ولذا تحمل ألفاظها سمات تلك المرحلة ، فكلمة (الفصاحة) أخذت — أساسا — من اللبن الفصيح — وهو الذي زال رغوه — وكلمة (البلاغة) أخذت من البلوغ إلى غاية المسير وكلمة (المجد) أخذت من امتلاء بطن الدابة بالعلف ، وكلمة (القطار) كانت تطلق على عدد من الابل تسير في نسق واحد .

فإذا درسنا تلك الألفاظ ، وتطوراتها ، وجدنا أن اللفظين الأولين (الفصاحة والبلاغة) استعملا فيما بعد لحسن الكلام ، وجودته ، ثم استعملا مصطلحين لاجادة المنطق ، في علم البلاغة الذي ظهر بعد وضع قواعد اللغة ، وعكوف العلماء على دراستها ، في عصر يدل على نضج تفكير الأمة ، وادراكها لقيمة لغتها .

وبعد تحضر العرب نقلوا لفظ (المجد) من معناه القديم ، فأصبح يطلق على امتلاء حياة الشخص أو الجماعة بالمعاني النبيلة ، ولما تطورت الحياة عند العرب في العصور الحديثة ، واستخدموا الآلات الصناعية في نقل البضائع ، والأحياء من بني الانسان ، وغيرهم من مكان إلى آخر نقلوا اسم آلة السفر التي كانت للصحراء — وهي (القطار) من الابل — للقطار من العربات المعهود الآن .

فلو تتبع الباحث اللغوي دلالات الألفاظ ، واشتقاقاتها ، وتراكيبها اللغوية لعرف تطور الحياة ، والفنون عند الجماعة الناطقة بها .

ثانيا : اللغة تتغير تبعا لظواهر الاجتماع :

للظواهر اللغوية وتغيرها أثر في مفردات اللغة ، وتراكيبها .

ا) أثرها في المفردات :

1 — معانيها :

لا ريب أن كل جماعة انسانية تضع الكلمات للأغراض التي تريد التعبير عنها ، فيوضع لفظ لمعنىً ، أو لعدة معان ، ويوضع غيره كذلك لمعان أخرى ، وهكذا .

وتبدأ اللغة بسيطة ، ثم تتطور ، وتتعمق ، فالمعروف أن الطفل عندما يريد أن يدل على حيوان يخاف منه فإنه يسميه (هوهو) أو (عو) أو نحو ذلك مما يطلقه عليه ، ثم بعد أن يميز شيئا فشيئا يستطيع أن يفصل بعض المعاني عن غيرها ، والمسميات عن نظائرها ، فيطلق اللفظ المحدد على ما يريد بدقة ، وهكذا. فالشعوب تطلق الألفاظ على ما تريد حسب طبيعتها ، رقيا ، وانحطاطا ، فالألفاظ البدائية محسوسة المعاني ، والراقية ترقى معها الأفكار التي تحملها .

وكلمة (الفرج) كانت لكل شق ، ثم خصصت في الاسلام بما هو معروف عند الانسان ، واللمس كان معروفا في اتصال شيء بآخر ثم كني به الإسلام عن الجماع كقوله تعالى : «أو لامستم النساء» .

ومن هنا نلاحظ تطور المعنى تبعا لتطور الحياة الاجتماعية ، ومتطلباتها .

2 — أصواتها :

لا ريب أن الأصوات التي تتألف منها الألفاظ صورة لحياة الأمة ، فهي جافية غليظة ، في أمة خشنة ذات وعورة ، تحيا حياتها الأولى ، فمثلا : حياة الصحراء تحتاج إلى الأصوات العالية ، لأن الخفوت يضيع وسط هذا الفراغ الهائل ، ولذا كانت خشونة الأصوات داعية لوصولها إلى من يريد ، وعلى هذا كان العرب الصحراويون يأتون إلى النبي ﷺ ، وينادونه بأصواتهم

المرتفعة ، فحاول الإسلام أن يرفق منها في الحواضر — كمكة والمدينة — حيث العمران ، والمدنية . والحضارة ، التي يناسبها خفض الصوت ، فنبه القادمين على أن الأصوات العالية لا تليق في مكان لا يحتاج إلى علوها . قال تعالى : «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وانتم لا تشعرون . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» . وقال سبحانه : «ان أنكر الأصوات لصوت الحمير» .

ونلاحظ في الحركات أنها تأخذ الشكل المناسب لحياة البدويين ، والحضريين . فالحركات القوية — كالضمة — يميل إليها البدويون لمناسبتها لحياتهم . على حين أن حياة المدنية الرتيبة الوادعة داعية إلى الأصوات الرقيقة . والحركات المشاكلة لها . كالكسرة . التي قالوا أنها علامة المؤنث . وامارة الرقة . وصغر الحجم .

وكلما انتقل المجتمع من حال إلى حال تتطور الأصوات اللغوية . ففي اللهجات العربية الحديثة وجدنا صوت (القاف) العربية يتطور في القرى إلى صوت (الجيم) مثل : (قال) تنطق (جال) وفي المدن — كالقاهرة وطنطا — تنطق (همزة) فتصبح (آل) . ووجدنا في القرى (الضحك) — بضم الضاد . وفي المدن (الضحك) بكسرها . لأن الضمة تناسب مجتمع الصلابة . والخشونة . على حين أن الكسرة تجتمع الرقة . والحياة الناعمة .

وقد تحدث تبدلات للأصوات عند بعض الناس تبعا للبيئة التي تصبغ الألفاظ بصبغاتها . فمثلا نجد في الصعيد من ينطقون (جاموسة) ، (داموسة) . ومن يقول هناك (لع) بدلا من (لأ) في مجتمع المدينة . و(لا) في العربية الفصحى .

وتبدلات الأصوات أحدثت ثورة عنيفة في اللغة العربية واللغات الانسانية — بعامة — وتحتاج دراستها إلى جهود تكشف عن تطورات الألفاظ ، وعلاقاتها . ومدى تأثرها بالتقدم الحضاري .

وهناك أصوات تخفف حتى تتلاشى ، كأصوات اللين الطويلة والقصيرة في مثل (عل ومحمد حضر امبارح) .

ونلاحظ في دراسة اللهجات العربية ، القديمة ، والحديثة ، ما يفيدنا في هذا المجال ، ويلقي ضوءا قويا على حياة البداوة ، والحضارة في عصورها المختلفة .

3 — حياتها وموتها :

هناك ألفاظ في اللغة يكتب لها أن تعيش ، ويستمر وجودها للحاجة إليها . ولصلاحيتها للتعبير عن مرادها ، وذلك مرهون باستمرار ما يراد منها ، وقد ينتقل معناها تبعا للحاجة الاجتماعية الا أنها تستمر لصلاحيتها لذلك أيضا ، وقد يموت معناها تبعا للتغيرات الاجتماعية التي تبطل هذا المعنى أو تؤدي إلى تغييره فتموت الألفاظ أيضا . فأسماء كثير من آلات الحرب وغيرها قد بطل نتيجة لبطلان استعمالها . وكذلك بعض الألفاظ الخاصة بأجزاء الغنائم . في الجاهلية التي أبطلها الاسلام ، مثل : المرباع والصفايا وغير ذلك من الألفاظ .

وفي بعض الأحيان يحيا اللفظ بعد موته ، فقد أحيا الأدباء والعلماء في العصور الحديثة كثيرا من الألفاظ القديمة . للحاجة إلى معانيها ، وتبعا للمخترعات الصناعية التي تستلزم بعض المصطلحات ، ومن هنا وجدناهم يعيدون إلى اللغات كثيرا من الألفاظ المهجورة . وهذا يضيف جزءا كبيرا من التراث اللغوي كان مهملا . فيعيد إلى اللغة جزءا مفقودا من ثرواتها . وكثير من الألفاظ التي وجدت في الغرب تسير على هذا الطريق ، وتشمل مصطلحات متعددة في الصناعات والفلسفات والعلوم .

ولذا نلاحظ أن اللفظ يحيا في عصر ، ويموت في عصر آخر تبعا للنظم الاقتصادية . والحياة الاجتماعية في أطوارها المختلفة فلفظ (الاشتراكية) كان معروفا في اللغة إلا أنه لم يدر استعماله بمثل ما دار به في هذا العصر ، ولفظ التراشق بالنيران لم يكن يلاحظ قبل اندلاع حرب السويس . ولفظ (صاحب المعالي) أو (صاحب السعادة) كان شائعا قبل الثورة . ثم اختفى كل منهما بقيامها .

4 – اضافة ألفاظ جديدة :

تستحدث اللغة بعض الألفاظ للحاجة إليها ، فقد يكون المجتمع بدائيا ، ثم يتطور ، وتكبر معه المخترعات ، وحاجات الحياة ، وقد لا تنهض ألفاظ اللغة بذلك ، فتخترع ألفاظ تستعمل في هذه النواحي ، والارتجال ظاهرة لغوية فعالة تحدث عنها العلماء ، وقد قال ابن جني : إن العربي الفصيح يرتجل ، ويكون ذلك باحياء ألفاظ قديمة ، أو بالاشتقاق منها ، ويمكن أن تنشأ بعض الألفاظ دون سابق وجود لها ، وهذا يقع في اللغات الأجنبية ، وفي لغتنا العربية ، وفي لهجاتنا العامية كثير من تلك الألفاظ المخترعة تبعا لحاجات الحياة النامية .

5 – اقتراض الألفاظ :

تبعا للعلاقات التي أشرنا إليها بين لغة قوم وآخرين ، سلمية كانت أو حربية ، فإن ألفاظا من لغات الطرفين تنتقل إلى كل منهما ، وتستعمل في التبادل اللغوي ، ويدخل في ذلك ما يسمى في العربية بالتعريب ، فاللغة التي تأخذ بعض الألفاظ تحاول اخضاعها لقوانينها الصوتية ، وموازينها البنائية ، حتّى تشاكلها ، وتجري على لسان أربابها ، فبعض الأصوات لا يوجد في لغة ما ، ويوجد في غيرها كصوت p في اللغات الهندية الأوربية ، ففي الفارسية مثلا – (پندق) عرب إلى (فندق) بالفاء ، و(پرند السيف) إلى (فرنده) بالفاء أو (برنده) بباء خفيفة .

وقد يحدث اتصال لغة بأخرى عدوانا على نظمها الصوتية ، وطغيانا على ألفاظها ، فتحل ألفاظ من اللغة الغالبة محل نظائرها من ألفاظ اللغة المغلوبة ، ويكثر ذلك ، فتمزق مجالاتها الصوتية ، وتستولي عليها ، وتقضي عليها في النهاية ، ويترك هذا الصراع آثارا في اللغة الغالبة فتشوه بعض صوتياتها ، ومفرداتها وهذا يتوقف على حدة الصراع ، وامتداد زمانه بحيث يتناسب معه تناسبا عكسيا .

ب) أثرها في التراكيب والقواعد :

الزمن ، والصلات بين المجتمعات ، والحياة بمظاهرها المتعددة ، كفيلة بتغيير الأوضاع اللغوية ، وتراكيبها ، فالرجل البدائي – كالطفل – لا يملك قوة العبارة ، أو سلامتها وسلاستها بل يركبها حسبما يشاء له تفكيره الساذج ، وتبدو عليها الهلهلة والسقم ، لأن حياته ليست رتيبة ، ولا نظام فيها ، وعندما يسمو تفكيره ، تسمو لغته ، وتصبح دقيقة التعبير ، منسقة المسالك .

وتراكيب اللغات عرضة للتغير ، وقواعدها النحوية والصرفية عرضة لذلك أيضا ، يقول بعض الباحثين : أن الأمم القديمة كانت تصنع الجمل في الوقت الذي تصنع فيه الفكرة التي تحملها ، وهي لذلك محتاجة إلى ملاحقة الجزئيات ، وأدوات الفصل ، والوصل ، وأنواع الزوائد التي (تتجاوب مع حركات عقلية جزئية تختلج في الفكر في لحظة التعبير على حين أن المتكلم باللغات الحية المعروفة يكاد يفرغ من تكوين فكرته داخليا ، قبل سبكها في قالب الكلام ، فيقل فيها ما يشعر بهذا الجهد الداخلي في بناء الفكرة نفسها)[36] ومن هنا ضاع الاعراب في اللهجات العامية العربية ، وفي معظم اللغات البشرية كما هو مشاهد الآن .

ويذكر الباحث السابق أن الانتقال من التركيب المعرب إلى التركيب الموقوف يعد ظاهرة حتمية في تطور اللغات[37] .

كذلك الأوزان التصريفية عرضة لهذا التبدل والتغير ، فمثلا (غار فهو غائر) – من غار على عرضه بمعنى : تمسك بحمايته – يقال : في التعبير العامي (غيران) – على فعلان – خلافا للوزن العربي ، وصياغة المضارع اختلفت طرائقها في القديم والحديث كما نشاهد في عاميتنا ، ولغتنا الفصحى .

كذلك الغزو اللغوي يمكن أن يترك آثاراً في أساليب

(36) د. حسن ظاظا : اللسان والإنسان ص 121 .
(37) نفسه 120 .

اللغات فيغير بعضها ، مثل ما نسمع في العامية (هات واحد شاي) وأصله (أعطني كوبا من الشاي) — (قابلني اثنين من الشبان) والتعبير العربي (قابلني شابان) .

ومثله تسرب بعض الأساليب والتعبيرات الأجنبية إلى العربية ، مثل : (ذر الرماد في العيون) و(لعب دورا هاما) ونحو ذلك مما يمكن تتبعه في اللغات الانسانية .

وهذا اللون من الدراسة يكشف عن المنهج الصحيح لدراسة اللغات الانسانية بتتبع سيرها التاريخي ، وما يحدث فيها من تغيرات في معانيها وأصواتها ، وتراكيبها ، وما يفقد منها ، أو تستفيده بعضها من بعض .

ويمكن للباحث أن يدرك كيف يستطيع المجتمع أن يوجه اللغة إلى الطريق الذي يسير فيه ، وأن يخضعها لعوامل المحافظة ، والبقاء ، أو الانقسام والموت .

ويمكن — على هذا المنهج — أن تدرس اللغة في ظل علم الاجتماع وأن تعرف طرائقها الاجتماعية .

فتدرس اللغة دراسة وصفية ، تتناول الانسان من حيث نشأته ، وتدرجه في جماعة معينة وأثره في اللغة — بجانب جماعته التي ينتمي إليها — في ضوء العوامل ، والظواهر الاجتماعية التي تتصل باللغة ، وبسلوك أفراد الجماعة ، ويدرس المعنى ، والألفاظ في ظلال التاريخ اللغوي .

ويتناول اللغة من هذين الجانبين الوصفي ، والتاريخي يتبين أن اللغة تعد مميزا فرديا ومميزا طبقيا ، فيمكن أن تدرس اللغة والسياسة — اللغة والاقتصاد — اللغة والدين الخ ، وعلى اثر ذلك نستطيع أن ندرس مراحل التطور اللغوي وصلته بالمجتمع ، وآثار احتكاك اللغات واللهجات .

وقد كان علماؤنا القدامى في دراستهم للغة يغفلون هذا الجانب المهم ، وهو الجانب الاجتماعي — ومن ثم جاءت تفسيراتهم — في بعض الأحيان — غير سديدة ، ولكن بعض علماء الغرب تبعا للمدرسة الاجتماعية التي أسسها (أميل دوركيم) أدركوا أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فحاولوا دراستها على هذا الطريق ، وحذا حذوهم بعض علماء العرب في العصر الحديث .